تلتحم اجزاؤه المفككة بعضها ببعض، فيعود المشهد طازجا، يرتدي ألبسته الحديثة وكأنه لم يحدث إلا منذ دقائق مضت. وإذا بالرجل أمامي، واقفا خلف طاولة الحانة، بلحيته الحمراء المدببة، ونظارته الطبية ذات الإطار المعدني الرفيع، وحاجبيه المعقودين فوق عينين صغيرتين كعيني جرذ، يخدم زبائن الحانة، في تلك المدينة، في ذلك اليوم الممطر، منذ أكثر من عشرين عاما. ينتهي من خدمة الزبائن الآخرين فلا يبقى أحد غيري. ينظر نحوي باستنكار وأنا أعاود تذكيره بالطلب الذي طلبته، ومتأففا يرمي أمامي الكأس ويلتقط من يدي النقود التي قدمتها له. ينهمك في غسل الأكواب، ومسحها بالفوطة، وهو يخاطب زبونا آخر من أبناء جلدته، تصادف أن كان بجواري يحتسي كأسه، قائلا له:

«لماذا يجب أن نخدم هذه النفايات البشرية». يقولها دون أن يلتفت نحوي، ولكنني أعرف لحظتها أنه لايقصد أحدا سواي بتلك الكلمات المهينة، المنقوعة في عطن الحقد والعنصرية. أتظاهر بأنني لم أسمعه، وأقبض على كأسي بأصابع متشنجة، وأنا أحاول أن أسيطر على انفعالي. ثم أفرغ الكأس في جوفي وأغادر الحانة على الفور. يستيقظ المشهد الآن بكامله في ذاكرتي، وتستيقظ معه أمراض القرحة التي ابتلتني بها مشاهد الظلم والأذى التي تلاحقني. أحس بالألم والمهانة، فأقول لنفسي، لماذا كنت جبانا إلى هذا الحد. لماذا بقيت صامتا، وصبرت على إهانته وانسحبت من أمامه دون أن أرد عليه. لماذا لم أصفعه. أبصق في وجهه. أرميه بالكأس حتى تتحطم عويناته الطبية فوق أنفه، قائلا له، انظر إلى وجهك في المرآة أيها الوغد لتعرف أين هي النفايات البشرية، ومن منا يعيش على حساب الآخر، أنت أم أنا. انظر إلى السلالات التي أنجبتك لتعرف من منا كان نفاية بشرية يعيش على أذى الآخرين، أنا أم أنت؟.